

## اللواء موشيه يعلون\*

### إعداد القوة

### من أجل المواجهة المحدودة\*\*

أصبح الجيش الإسرائيلي مستعداً للمواجهة الحالية مع الفلسطينيين، لأنه نجح سلفاً في تطوير الوعي بما تتطلبه المواجهة المحدودة. وعلى الجيش الإسرائيلي أن يواصل تطوير هذا الوعي من أجل بقاءه جاهزاً في مواجهة مختلف التهديدات الماثلة أمامه. ومفتاح ذلك يكمن أساساً في تشجيع التفكير والتعبير.

### مقدمة

في هذه الأيام اكتمل عام على بدء السلطة الفلسطينية انتهاج استراتيجيا المواجهة المسلحة المحدودة ضد دولة إسرائيل. وتطلب الأمر من الجيش الإسرائيلي، أول مرة في تاريخه، أن يقاتل، بصورة متواصلة، عدواً هوليس جيشاً نظامياً يستخدم أسلحة نارية على نطاق واسع. إلا إن قوات الجيش الإسرائيلي لم تفاجأ جراء قيام الفلسطينيين بشن القتال، وذلك بفضل عمليات تطوير الوعي والتأهب.

إلى جانب ذلك، فإن دينامية المواجهات لا تسمح لنا بالنوم على الحريق، وهي تتطلب منا تحليل المخاطر المتوقعة، والحرص على إعداد القوة الملائمة. وهذا المقال مكرس للتعرف على العمليات التي تم تنفيذها، ولتوضيح التوتر القائم بين إعداد القوة للمواجهة المحدودة وبين الحاجة إلى إبقائها متأهبة أيضاً لقتال عالي الحدة.

### تعريف المواجهة المحدودة

[.....]

إن وضع حدود للمواجهة هو نتيجة اختيار الطرفين المتصارعين، كل بحسب اعتباراته المتعلقة بالتكلفة والمردود. فالفلسطينيون، مثلاً، اختاروا المواجهة العسكرية سبباً لهم أنه يضمن تحقيق أهدافهم السياسية، لكنهم لم يختاروا مواجهة شاملة لاعتبارات التكلفة (الموارد العسكرية والاقتصادية). وتختار إسرائيل، من جانبها، ألا تستعمل كامل قوتها العسكرية لاعتبارات، منها: اعتبارات خلقية تتعلق بعدم مس سكان مدنيين، واعتبارات تتعلق بالسياسة الخارجية، واعتبارات تتعلق بالثمن الاجتماعي لعملية تفتقر إلى إجماع واسع.

إن اختيار المواجهة المحدودة يستجر انعكاسين مهمين بشأن طابع المواجهة:

\* نائب رئيس هيئة الأركان العامة في الجيش الإسرائيلي (ورئيسها منذ تموز/يوليو 2002).  
\*\* المصدر: "معاخوت"، العدد 380 - 381، كانون الأول/ديسمبر 2001، ص 24 - 29.

الأول منهما يعبر عن إدراك أن المواجهة لن تحسم بعملية عسكرية قصيرة، نسبياً [...]، أي أن المواجهة هي بشأن القدرة على الصمود. والثاني هو أن المواجهة المحدودة تتطلب نقاشاً جارياً، يومياً أحياناً، بين المرتبة العسكرية والمرتبة السياسية - وذلك خلافاً لعملية عسكرية في مواجهة شاملة، يكون تدخل المرتبة السياسية فيها محدوداً.

### السعي لجهوية القوة العسكرية

[.....]

إن محاولة البحث عن أدوات جديدة في أثناء التأهب لمواجهة مع الفلسطينيين نجمت عن الإحساس بأن ليس لدينا إطار نظري ملائم لهذه المواجهة اليومية. وهذا الإحساس لازمني منذ وقت طويل، حتى مذ كنت قائداً لأوغداه [فرقة] يهودا والسامرة. وهذا لا يعني أن القيادة على الأرض لم يجدوا حلاً عملاً جيدة للتحديات التي واجهتهم، لكنهم واجهوا ذلك بحلول مرتجلة، تحقق معظمها على الصعيد التكتيكي، وغاب الإطار الفكري الشامل، الذي يربط ما بين الأهداف السياسية والعملية التكتيكية، والذي يكفل التنسيق بين مستويات المراتب التسعة، من المستوى السياسي حتى الجندي الواقف على الحاجز.

هذا الإدراك كان وراء الجهد الذي بذلناه في قيادة المنطقة الوسطى وهيئة الأركان العامة - بمساعدة فريق أبحاث المستوى العملائي. فطورنا معاً وعياً ملائماً بشأن المواجهة مع الفلسطينيين - وهي مواجهة كنا نتوقعها. وتجسد هذا الوعي في منظومة مفاهيم جديدة وملائمة.

### تقويم الوضع

إن تحديد عنصر التحدي - تطوير وعي ملائم - أدى إلى أن يكون موضوع الدراسة الأول هو تقويم الوضع. إن الأداة المألوفة لدينا كانت الطريقة المتبعة لتقويم الوضع التي تعلمناها خلال تدريبنا العسكري، والتي تقوم على أساس تحليل [طبيعة] الأرض، والعدو، ونسب القوى، ثم عناصر إضافية مثل الزمان والمكان وعوامل أخرى. وهذا التقويم للوضع يسري على كل مواجهة تقوم على أساس [السيطرة على] الأرض - سواء في وضع دفاعي أو في وضع هجومي. لكن على الرغم من أن الصراع بيننا وبين الفلسطينيين هو في شأن الأرض، فإنهم لا يحاولون (أقله في هذه المرحلة) احتلال أرض بواسطة قوة عسكرية. إن أساس القتال في هذه المواجهة هو بشأن الوعي، الإسرائيلي والفلسطيني والدولي. فالخصم الفلسطيني يستعمل سلاح الإرهاب من أجل زعزعة قوة الصمود لدى المجتمع الإسرائيلي. وهو يسعى لغرس روح حرب تحرير في الوعي الفلسطيني، بينما يحاول في الساحة الدولية تقويض شرعية

## محاربتنا للإرهاب.

أمّا نحن، فنحاول العمل بوسائل تعزز إحساس الجمهور الإسرائيلي بقدرتنا على الصمود في هذه المواجهة، ونعمل ضد الفلسطينيين بطريقة تهدف إلى التوضيح لهم أن العنف لن يحقق لهم أية إنجازات. وفي المقابل، نحاول أن نحظى بشريعة دولية لوسائل كفاحنا.

في هذه المواجهة التي تدور - في المرحلة الراهنة - بشأن مجالات تتعلق بالوعي، لا يتناول تقويم الوضع تحليل كيانات مادية، وإنما يحاول أساساً تفحص المسارات والظواهر، وتقدير تأثيرها في المعركة وفي سبل العمل الممكنة للخصم ولنا. وتدور المواجهة داخل ثلاث مجموعات من الحدود: حدود المنظومة، وحدود المعركة، وحدود التنسيق.

## حدود المنظومة

لو طبقنا على هذه المواجهة أدوات العقيدة [القتالية] الخاصة بالمنظومات لاكتشفنا أن ثمة قوى خارج المنظومة تؤثر فيها بشدة، وأن من المشكوك فيه أن تجد [هذه القوى] تعبيراً عنها في تقويم عادي للوضع. وهكذا، مثلاً، فإن اعتبارات سياسية أميركية تؤثر في ساحة العملية العسكرية، مثلها مثل اعتبارات تتعلق بالساحات الأوروبية والمصرية والأردنية والسورية. وهذه عوامل في حدود المنظومة لا يكاد يكون لنا، كجيش، تأثير فيها، لكنها هي تؤثر فينا. وبالتالي، فإن على المخطّط العسكري أن يدرك هذه الاعتبارات، وأن يفهمها، بل أن يتكهن بتأثيرها.

## حدود المعركة

بعد توضيح حدود المنظومة ننتقل إلى تفحص حدود المعركة. وهذه هي الظواهر والمسارات التي تؤثر في المعركة، والتي نستطيع نحن التأثير فيها. مثلاً، إلى أي مدى سيحقق الفلسطينيون إنجازات بواسطة العنف؟ إن للجيش قدرة كبيرة على التأثير في هذا العنصر. وبالتأكيد لا إمكان لقياس ذلك على مستوى الحدث المنفرد، لكن مجمل عمليات المبادأة، ومجمل العمليات الوقائية، ومجمل نتائج المواجهات، هي التي تشكل الإدراك، سواء في الجانب الإسرائيلي أو في الجانب الفلسطيني، لجهة الإنجازات التي حققها العنف أو لم يحققها.

إن تشكيل الإدراك الفلسطيني في هذا الشأن عامل ذو أهمية كبيرة، لأنه يتصل بأحد العناصر الأساسية للقرار الفلسطيني بشأن المواجهة المسلحة بشكلها الحالي. فالفلسطينيون انطلقوا من فرضية أن العنف يؤدي إلى تغيير. وإذا حيّدنا هذا العنصر، فلربما أمكن التأثير في مجمل موقفهم من استمرار المواجهة، ومن الحلول السياسية

التي يفترض أن تنهيتها.

من المهم عند السعي لرسم حدود المعركة بالشكل الذي نرغب فيه، أن نتذكر أن الجيش لا يعمل وحيداً. إذ تواجهه أعمال كثيرة لأطراف متعددة، سواء في الجانب الإسرائيلي أو في الجانب الفلسطيني، في حين أن الأعمال في جانبنا لا تكون كلها أحياناً - للأسف - منسقة من أجل الهدف ذاته.

### حدود التنسيق

بعد توضيح حدود المعركة التي لا تزال، أساساً، في مجال الوعي، ننتقل إلى الحدود المتعلقة بالمنطقة - حدود التنسيق، مثلاً: حدود المسؤولية الخاصة بقيادات المناطق.

يتحمل القائد مسؤولية عامة وشاملة عن جميع العمليات التي تنفذ داخل المنطقة الخاضعة لقيادته. لكن لا يجوز، بالتأكيد، للقادة الكبار على مستوى قائد المنطقة، أو في هيئة الأركان العامة، الاكتفاء بفهم ما يجري في مجالاتهم، بل عليهم أيضاً أن يفهموا نسق العلاقات والتأثيرات المتبادلة بين ما يجري ضمن حدود المنظومة وضمن حدود المعركة وبين النشاط التكتيكي في مجالاتهم.

كذلك عندما يهتم القائد بدراسة الوضع في المجال الواقع ضمن مسؤوليته، فإنه لا يمكن تطبيق تقويم الوضع بصورة تبسيطية. مثلاً: لا يمكن التعامل مع جميع القوى العاملة في مناطق السلطة الفلسطينية على أنها كيان واحد يدعى "عدو". إذ يجب التمييز بين القيادة الفلسطينية، والشارع الفلسطيني، والجهاد الإسلامي، وحماس، والتنظيم [حركة فتح]. فلكل منها "جدول أعمال" خاص، وأهداف وأوضاع قاهرة، لا تتطابق بالضرورة مع تلك الخاصة بالمجموعات الأخرى. ونحن نطلق على ذلك مصطلح "منطق". لكل هيئة من هذه منطق خاص، ومن دون معرفة نسق منطق الخصم وفهمه بعمق لا يمكن التوصل إلى الإنجازات الخاصة بالوعي التي تهمنا بصفقتها أداة لتحقيق أهدافنا السياسية. فضلاً عن ذلك، يصعب من دون فهم نسق منطق الخصم التخطيط لعملية عسكرية فاعلة، وقد نصل إلى وضع تكون فيه قوتنا غير مناسبة.

[.....]

### ثقافة الحوار

إن تغيير أنماط تقويم الوضع بحيث تخدم الأهداف المتعلقة بتطوير المعلومات يستوجب الانتقال إلى نشاط من نوع "العصف الذهني"، الذي تستلزم إقامته ثقافة حوار، تمكّن كل مشارك من المساهمة في النقاش بصورة حرة ومتساوية. ويجري هذا النقاش في منبر مصغر، نسبياً، يكون متحرراً من الإطار الهرمي ويتطلب موارد زمانية

كثيرة. وتتم بلورة نتائج النقاش في وثيقة، تشكل أساساً لاستمرار الحوار بين مراتب الجيش، وبين الجيش والمرتبة السياسية.

لا تقتصر ثقافة الحوار على المنبر الضيق، نسبياً، الذي يعمل على مستوى قيادة المنطقة أو هيئة الأركان العامة لبلورة المفاهيم وتطوير الوعي. فمنذ أن تفتح "خريطة الوعي"، التي تصف مجموعة مفاهيمنا إزاء الوضع، يبدأ الحوار بين مختلف المراتب العسكرية، بهدف ترجمة الأفكار الاستراتيجية والمنظومية إلى أفكار عملانية وإلى خطط.

وبسبب طابع الميدان وطابع المواجهة، قد يصبح عمل تكتيكي يقوم به جندي منفرد أو ضابط ذورتبة متدنية، عملاً ذا انعكاسات استراتيجية. ولذلك على الضباط ذوي الرتب الدنيا والجنود أن يفهموا الفكرة العملانية، والقيود أيضاً. إذ إنه في ضوء مثل هذا الفهم العميق فقط يمكنهم اتخاذ القرارات الصحيحة من أجل التصرف والرد على الأرض في زمان مناسب - أي أن يكونوا فاعلين، وألا يرتكبوا أخطاء قد تكلف ثمناً سياسياً وعسكرياً باهظاً. ولفرحتنا الكبيرة، وقع منذ بداية أحداث أيلول/سبتمبر 2000 القليل من مثل هذه الأخطاء، بل القليل جداً منها - قياساً بحجم القوات وتبديلها وانتشارها وعدد الحوادث.

[.....]

### إعداد القوة

يقوم إعداد القوة، بالدرجة الأولى، على أساس تطوير أفكار استراتيجية جديدة وبلورة مفهوم عملاني حديث. وقد وصفنا أعلاه طريقة تنفيذ هذه المسارات فيما يختص بالمواجهة المحدودة، لكنها إلى حد بعيد تسري على التهديدات التقليدية أيضاً. لقد تقدم الجيش الإسرائيلي كثيراً في السنوات الأخيرة في مجال تطوير الوعي العسكري المطلوب بمختلف التهديدات. ومفتاح ذلك موجود، أساساً، في تشجيع التفكير والتعبير. ونجد في لقاءاتنا مع جيوش أجنبية أن الجيش الإسرائيلي، في مجالات كثيرة، يتقدم كثيراً في تطوير الوعي العسكري المتعلق بمواجهات متوقعة.

يجب صهر الأفكار العملانية في إطار عقيدة قتالية، تؤدي إلى تطوير تقنيات قتالية وتدريبات مناسبة. وتبعاً لذلك، تشتق أيضاً الاستعدادات في مجالات بناء القوة والتجهز والمناورات.

ثمة في إعداد القوة للمواجهة المحدودة مرحلة تكون أقل تطوراً في الإعداد التقليدي الذي يتلقاه الجندي، وهي مرحلة الإعداد الذهني. ففي المواجهة مع الفلسطينيين، التي تتم في بيئة مدنية كثيفة، من المتوقع أن يصطدم الجندي بظواهر ومشكلات لا تشكل جزءاً من الإعداد العادي، ومن الضروري أن نعدّه لها، إذا أردنا له

أن يكون فاعلاً وذا منفعة وألاً يتسبب بحوادث.

وهناك موضوع مهم يجب نقله إلى الجنود، بصرف النظر عن القطاع الذي يعملون فيه، وهو معرفة النتائج الممكنة لأعمالهم، وخصوصاً فيما يتعلق بإمكان إلحاق الضرر بالمدنيين، وفيما يتعلق بلقاء ممثلي وسائل الإعلام. فمثلاً، عندما يدرك قائد دبابة أن خطأ في إطلاق قذيفة قد يتسبب بقتل عائلة بريئة، فإن ذلك يؤثر في كمية القذائف التي يطلقها، وفي مدى الحرص على تحسين التصويب. وفيما يختص بوسائل الإعلام، على الجندي أن يكون مدركاً لإمكان نصب "كمين مصور"، كما جرى مرة في مفرق يهودا والسامرة، وألاً ينجر وراء استفزازات قد تؤدي إلى مأزق سياسي، كالذي نجم عن الصفحة التي وجهها أحد الجنود إلى صحفي مصري في الحادث نفسه.

لا يمكن إعداد الجندي والوحدة على المستوى نفسه وبصورة متواصلة لجميع أنواع المواجهات الممكنة، وتتحدد موضوعات التدريب وفقاً لسلم أولويات يناسب اللحظة. وهذا الوضع قائم اليوم أيضاً من خلال إجراء توازن بين الإعداد الخاص لمهمات المواجهة المحدودة وبين مواصلة إعداد القوة للأوضاع المعهودة في القتال العالي الحدة.

يجب الأخذ في الاعتبار أن مجرد تدخل الوحدات في القتال في الساحة الفلسطينية يساهم مساهمة ملموسة في رفع مستواها العملائي. ففي نهاية المطاف، وعلى الأرض، تستوجب كل فعالية خطوات أساسية في التخطيط وإدارة المعركة وإجراء الأبحاث. وكذلك هناك، في أثناء التنفيذ، العناصر المكونة للعملية الجارية واتخاذ قرارات في أوضاع عملائية قاهرة. وهذه الأمور كلها، إذا حرصنا على تنفيذها كما يجب، وعلى سد الثغرات - في حال كشفها - تؤدي إلى رفع المستوى العملائي للقوة. ومجرد وجود كل ما قيل أعلاه سيؤدي إلى جعل المواءمة المطلوبة من أجل إعداد القوة لأوضاع قتالية أخرى، بسيطة نسبياً.

■[.....]

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)  
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>